قصص الأنبياء

محمد (صلى الله عليه وسلم)

قبل البعثة

رسوم

عبدالمرضي عبيد

المركز العربى الحديث

محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة

مَكَّةُ بَلَدُ اللهِ الحَرَام، بِهَا الكَعْبَةُ المُشَرَّفَةُ الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ، وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ -عَلَيْهِمَا السَّلامُ- . كَانَتِ الكَعْبَةُ مَلِيئَةً بِالأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَكَانَ العَرَبُ جَمِيعًا يُعَظِّمُونَ الكَعْبَةَ، وَيَحُجُّونَ إِلَيْهَا كُلَّ عَامٍ.

وَفِي اليَمَنِ - جَنُوبِ مَكَّةَ - كَانَ هُنَاكَ حَاكِمٌ حَبَشِيٌّ اسْمُهُ أَبْرَهَةُ، بَنَى كَنِيسَةً فَخْمَةً، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى حَجِّهَا فَلَمْ يَحُجْ إِلَيْهَا أَحَدٌ، فَغَضِبَ أَبْرَهَةُ، وَقَرَّرَ هَدْمَ الكَعْبَةِ، حَتَّى لا يَجِدَ

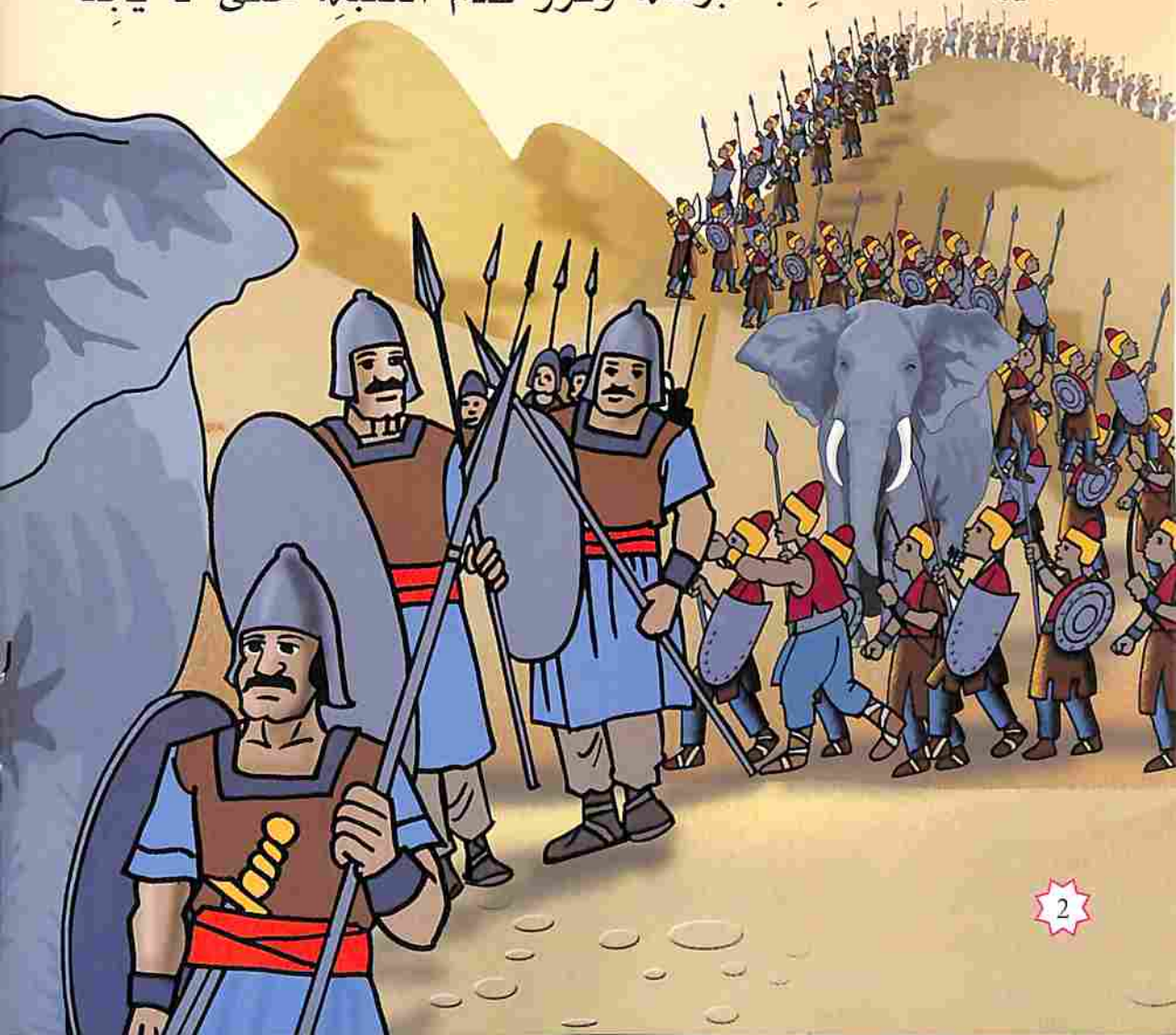

العَرَبُ بَيْتًا يَحُجُّونَ إِلَيْهِ إلا كَنِيسَتَه.

جَهَّزَ أَبْرَهَةُ جَيْشًا عَظِيمًا يَتَقَدَّمُهُ فِيلٌ ضَخْمٌ، وَسَارَ نَحْوَ مَكَّةَ، وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَهَا بِقَلِيلٍ اسْتَوْلَى عَلَى مِائَتَي جَمَلٍ لِعَبْدِ المُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ زَعِيمِ مَكَّةَ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُم أَنَّهُ لا يُرِيدُ حَرْبَهُم، إِنَّمَا جَاءَ لِهَدْمِ الكَعْبَةِ فَقَط، فَإِذَا كَانُوا لا يُرِيدُونَ الحَرْبَ فَلْيَبْعَثُوا إِلَيْهِ بِسَيِّدِ هَذَا البَلَدِ.

ذَهَبَ عَبْدُ المُطَّلِبِ إِلَى أَبْرَهَةَ، فَسَأَلَهُ أَبْرَهَةُ: مَا حَاجَتُكَ؟

أَجَابَ عَبْدُ المُطَّلِبِ: أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ إِبِلِي.

قَالَ أَبْرَهَةُ مُتَعَجِّبًا: يَا رَجُل، أَتُكَلِّمُنِي فِي إِبِلٍ لَكَ وَتَتْرُكُ بَيْتَكُمُ الَّذِي هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكُم وَأَجْدَادِكُم؟!

قَالَ عَبْدُ المُطَّلِب: أَنَا صَاحِبُ الإِبِلِ أُكَلِّمُكَ فِيهَا، أَمَّا البَيْتُ فَلَهُ رَبٌّ يَحْمِيه، ثُمَّ خَرَجَ عَبْدُ المُطَّلِبِ وَمَعَهُ جِمَالُهُ.

وَصَلَ عَبْدُ المُطَّلِبِ إِلَى مَكَّةَ وَأَمَرَ أَهْلَهَا بِالخُرُوجِ مِنْهَا إِلَى الجِبَالِ.

أَثْنَاءَ ذَلِكَ كَانَ جَيْشُ أَبْرَهَةَ وَاقِفًا بِسَبَبِ وُقُوفِ الفِيلِ، فَقَدْ رَفَضَ الفِيلَ التَّقَدُّمَ نَحْوَ مَكَّةَ. انْهَالَ الجُنُودُ عَلَيْهِ ضَرْبًا، لَكِنَّهُ رَفَضَ وَظَلَّ وَاقِفًا مَكَانَه.

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ فِي السَّمَاءِ أَسْرَابٌ كَثِيرَةٌ مِنْ طُيُورٍ تُسَمَّى «طَيْرًا أَبَابِيلَ»، يَحْمِلُ كُلُّ طَائِرٍ فِي فَمِهِ حَجَرًا، وَأَلْقَى كُلُّ طَائِرٍ مَا يَحْمِلُهُ مِنْ حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، لِتَقَعَ عَلَى الجُنُودِ، فَهَلَكَ الجَيْشُ كُلُّهُ. وَهَبَطَ أَهْلُ مَكَّةَ فَرِحِينَ بِهَلاكِ أَبْرَهَةَ وَجَيشِه.

بَعْدَ أَيَّام، وَفِي وَقْتِ الفَجْرِ، وَفِي دَارِ أَبِي طَالِبٍ وُلِدَ طِفْلٌ يَتِيمٌ، مَاتَ أَبُوهُ -عَبْدُ اللهِ- بَعْدَ الحَمْلِ بِهِ بِشَهْرَيْنِ، وَلَدَتْهُ سَيِّدَةٌ فَاضِلَةٌ هِيَ آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ، وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؛ فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَسَمَّاهُ «مُحَمَّدًا»، لِيَحْمَدَهُ اللهُ فِي السَّمَاءِ وَالنَّاسُ فِي الأَرْضِ.

وُلِدَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ حَفِيدُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِم السَّلامُ- يَتِيمَ الأَبِ، فِي عَامِ الفِيلِ.

كَانَ مِنْ عَادَةِ العَرَبِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَنْ يُرْضِعُوا أَوْلادَهُم فِي البَادِيَةِ -الصَّحْرَاءِ- حَتَّى يَشِبُّوا وَسْطَ الهَوَاءِ النَّقِيِّ وَالجَوِّ الصِّحِّي،ويَتَعَلَّمُوا اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى، وَكَانَت المُرْضِعَاتُ يَتَصَارَعْنَ عَلَى أَبْنَاءِ الأَغْنِيَاءِ، وَلِذَا لَمْ تَقْبَلْ مُرْضِعَةٌ أَخَذَ مُحَمَّدٍ ، نَظَرًا لِفَقْرِهِ، رَغمَ أَنَّ جَدَّهُ سَيِّدَ قُرَيش وَعَظِيمَهَا، وَأَخِيرًا أَخَذَتْهُ مُرْضِعَةٌ طَيِّبَةٌ اسْمُهَا حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ، وَعَادَتْ بِهِ فَانْفَتَحَتْ لَهَا أَبْوَابُ الخَيْرِ وَالبَرَكَة.

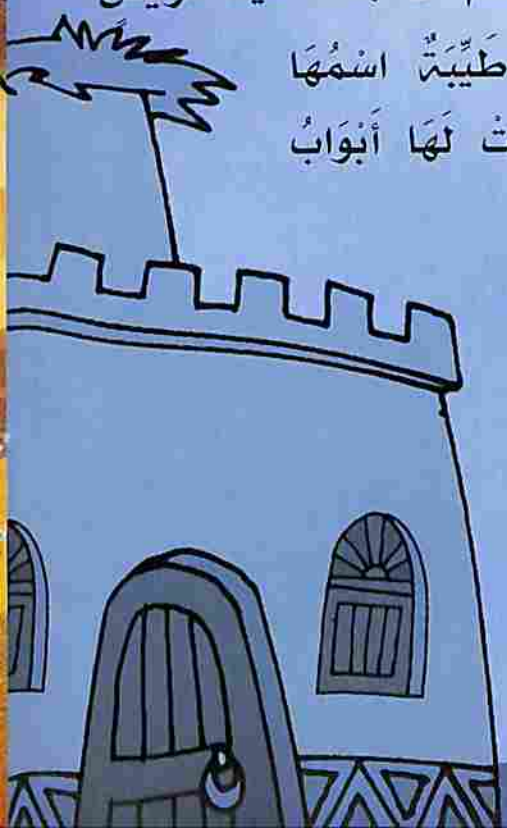

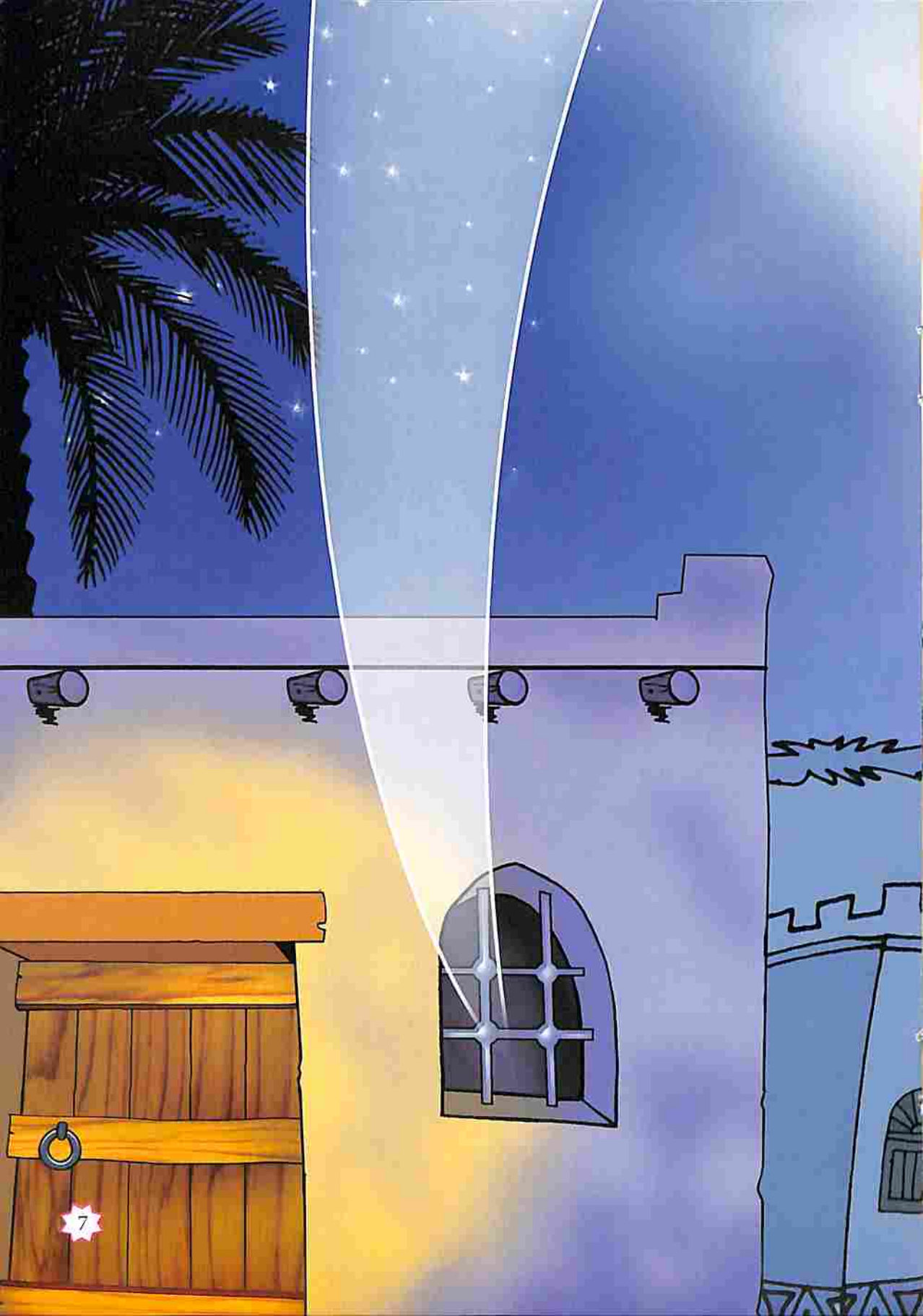

بَقِيَ مُحَمَّدٌ مَعَ حَلِيمَةَ حَتَّى أَتَمَّ سَنَتَيْنِ، كَانَ خِلالَهُمَا مِثَالَ الطِّفْلِ الهَادِئِ الوَدِيعِ. بَعْدَ سَنَتَيْنِ فَطَمَتْهُ حَلِيمَةُ، وَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى أُمِّهِ آمِنَةَ؛ فَفَرِحَتْ بِهِ فَرَحًا لا يُوصَفُ، وَلَكِنَّ حَلِيمَةَ كَانَتْ حَزِينَةً، لأَنَّ مُحَمَّدًا سَيُفَارِقُهَا، فَرَاحَتْ تَقُولُ لأُمِّهِ: إِنَّ جَوَّ مَكَّةَ شَدِيدُ الحَرَارَةِ، فَالأَفْضَلُ لِمُحَمَّدٍ أَنْ يَبْقَى مُدَّةً أُخْرَى وَسْطَ الهَوَاءِ الطَّلْقِ حَتَّى يَشُبَّ قَوِيًّا مُعَافًى مِنَ الأَمْرَاضِ. وَمَعَ إِلْحَاحِ حَلِيمَةَ وَافَقَتْ آمِنَةُ عَلَى إِرْسَالِ مُحَمَّدٍ مَرَّةً ثَانِيَةً مَعَهَا.

عَادَ مُحَمَّدٌ مَعَ حَلِيمَةَ، وَبَقِيَ حَتَّى أَصْبَحَ عُمْرُهُ خَمْسَ سَنَوَاتٍ، وَفِي أَثْنَائِهَا خَرَجَ يَوْمًا مَعَ أَخٍ لَهُ فِي الرِّضَاعِ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ عَادَ الأَخُ وَحْدَهُ يَجْرِي بَاكِيًا وَهُوَ يَقُولُ لِحَلِيمَةَ وَزَوْجِهَا، إِنَّ أَخِي

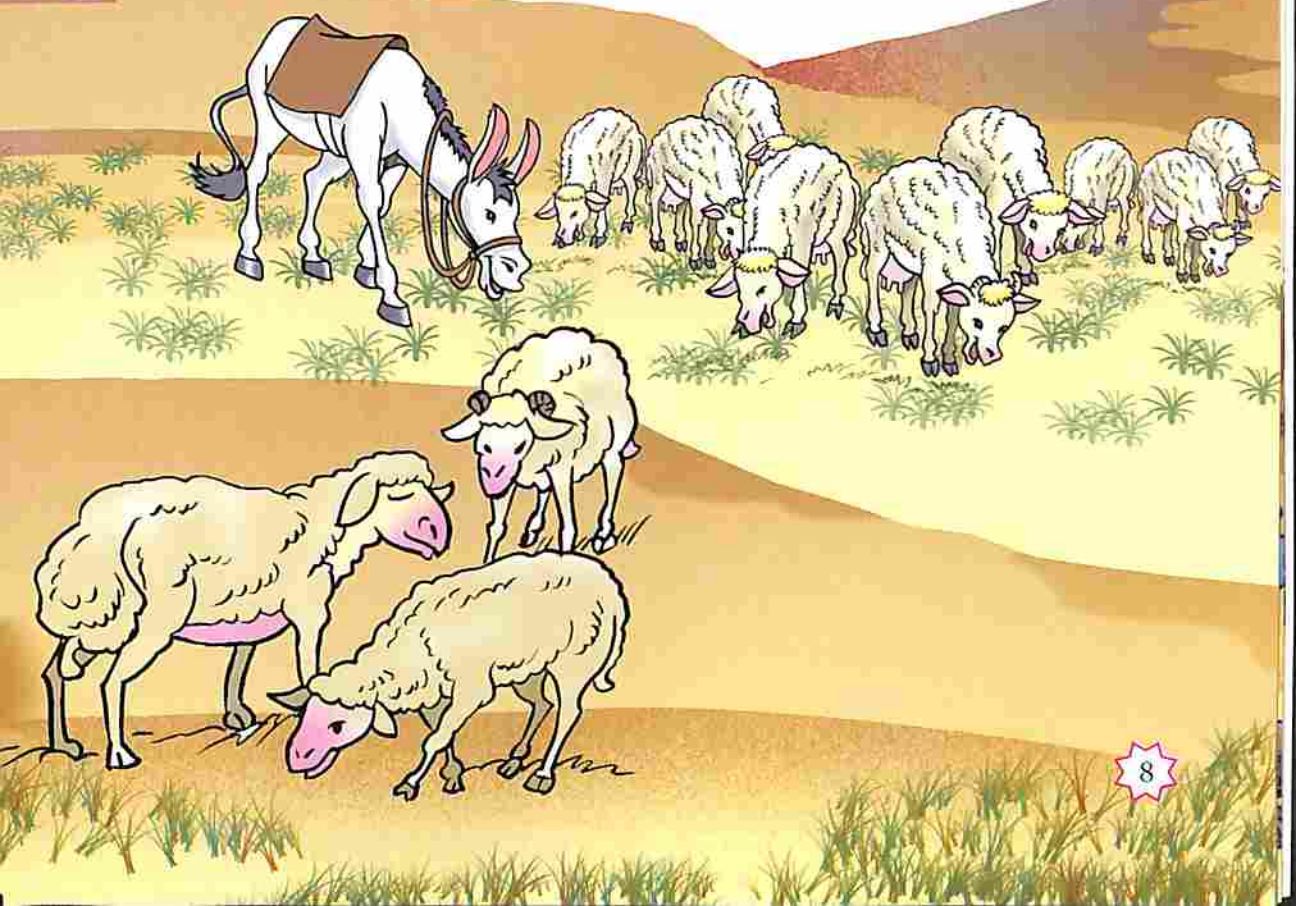

القُرَشِيَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؛ أَخَذَهُ رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَشَقَّا صَدْرَهُ ... انْطَلَقَتْ حَلِيمَةُ وَزَوْجُهَا إِلَى حَيْثُ يُوجَدُ مُحَمَّدٌ. قَبَّلاهُ ثُمَّ سَأَلاهُ: مَا لَكَ يَا بُنَيّ؟ وَمَا الَّذِي حَدَثَ لَكَ؟

أَجَابَ الصَّبِيُّ: جَاءَنِي رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَقْبَلا نَحْوِي، فَأَخَذَانِي فَأَضْجَعَانِي، فَشَقَّا صَدْرِيَ وَبَحَثَا فِيهِ عَنْ شَيءٍ فَوَجَدَاهُ، فَأَخَذَاهُ وَرَمَيَاهُ، وَلا أَدْرِي مَا هُوَ، ثُمَّ اخْتَفَيَا فَجَأَةً كَمَا ظَهَرَا، عِنْدَ ذَلِكَ خَافَتْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى أُمِّهِ، وَبَقِيَ هُنَاكَ فِي مَكَّةَ.

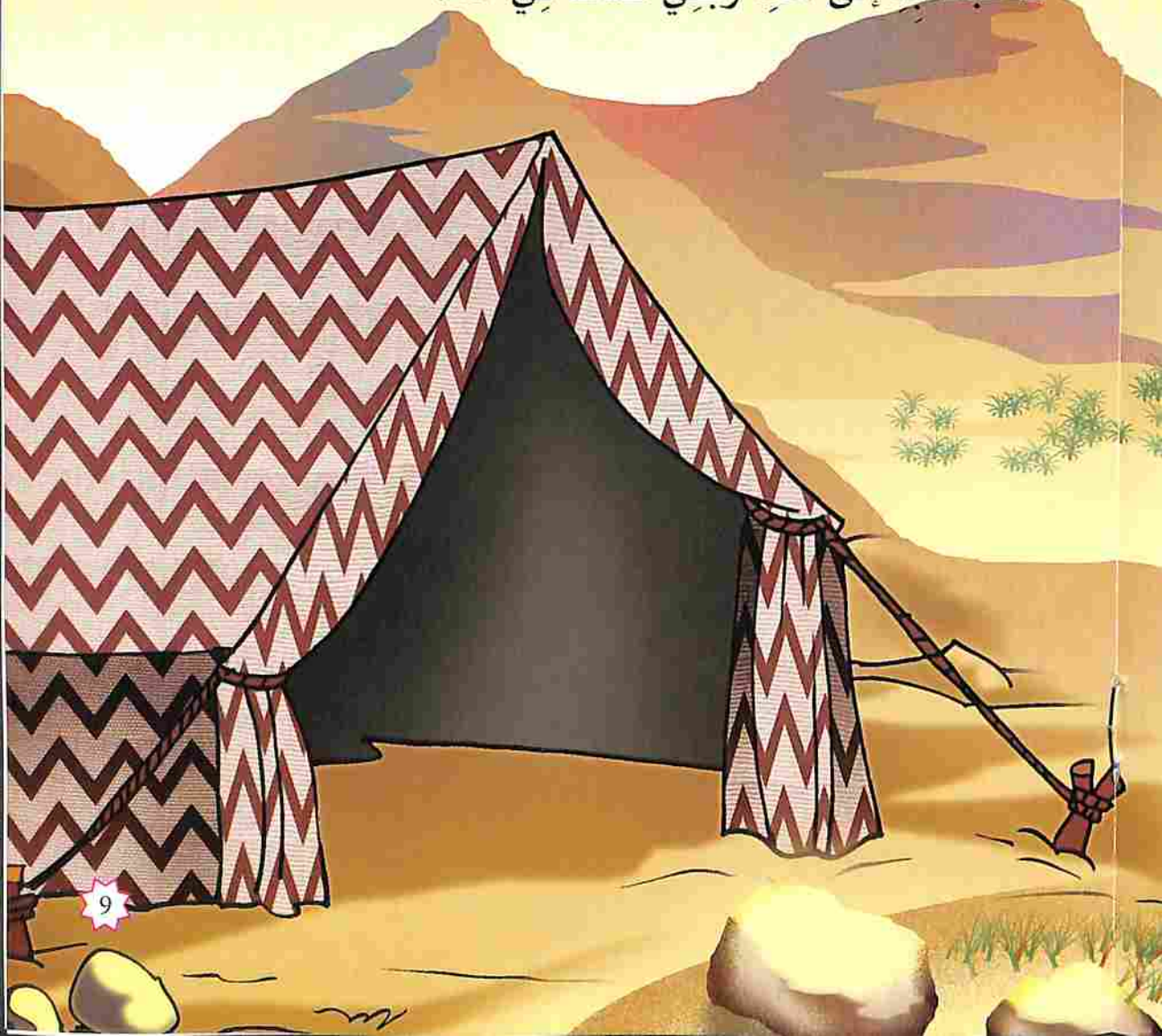

وَعِنْدَمَا كَانَ عُمْرُ مُحَمَّدٍ سِتَّ سَنَوَاتٍ أَخَذَتْهُ أُمُّهُ لِزِيَارَةِ أَخْوَالِ أَبِيهِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَمَكَثا هُنَاكَ شَهْرًا، ثُمَّ عَادَا إِلَى مَكَّةَ، وَفِي أَثْنَاءِ العَوْدَةِ مَرِضَتْ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ فَجْأَةً وَمَاتَتْ وَدُفِنَتْ.

تَوَلَّى تَرْبِيَةَ مُحَمَّدٍ جَدُّهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ، وَلَمْ تَدُمْ كَفَالَةُ الجَدِّ سِوَى سَنَتَيْنِ، بَعْدَهَا تُوُفِّيَ، فَتَوَلَّى عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ تَرْبِيَتَهُ.
انْتَقَلَ مُحَمَّدٌ إِلَى بَيْتِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ مِثَالَ القَنَاعَةِ وَالأَدَبِ. وَكَانَ يَمْضِي وَقْتَهُ فِي التَّأَمُّلِ فِيمَا حَوْلَهُ مِنْ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ، وَكَذَلِكَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ وَعِبَادَتِهِم.

وَعِنْدَما بَلَغَ عُمرُهُ اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَةً سَافَرَ مَعَ عَمِّهِ إِلَى بِلادِ الشَّام لِلتِّجَارَةِ، وَسَارَتِ القَافِلَةُ أيَّامًا، وَأَثْنَاءَ الطَّرِيقِ كَانَتْ هُنَاكَ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُ مُحَمَّدًا وَحْدَهُ، وَتَقِيهِ حَرَارَةَ الشَّمْسِ.

مَرَّتِ القَافِلَةُ عَلَى قَرْيَةٍ بِهَا دَيْرٌ لِرَاهِبٍ اسْمُهُ «بَحِيرَة»، كَانَ بَحِيرَة رَاهِبًا نَصْرَانِيًّا، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ عِيسَى بَشَّرَ بِنَبِيٍّ بَعْدَهُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ العَرَبِ، وَكَانَ يَعلَمَ أَوْصَافَ وَصِفَاتِ هَذَا النَّبِيِّ.

نَظَرَ بَحِيرَة إِلَى القَافِلَةِ فَلاحَظَ أَنَّ فَوْقَهَا سَحَابَةً تُظَلِّلُ

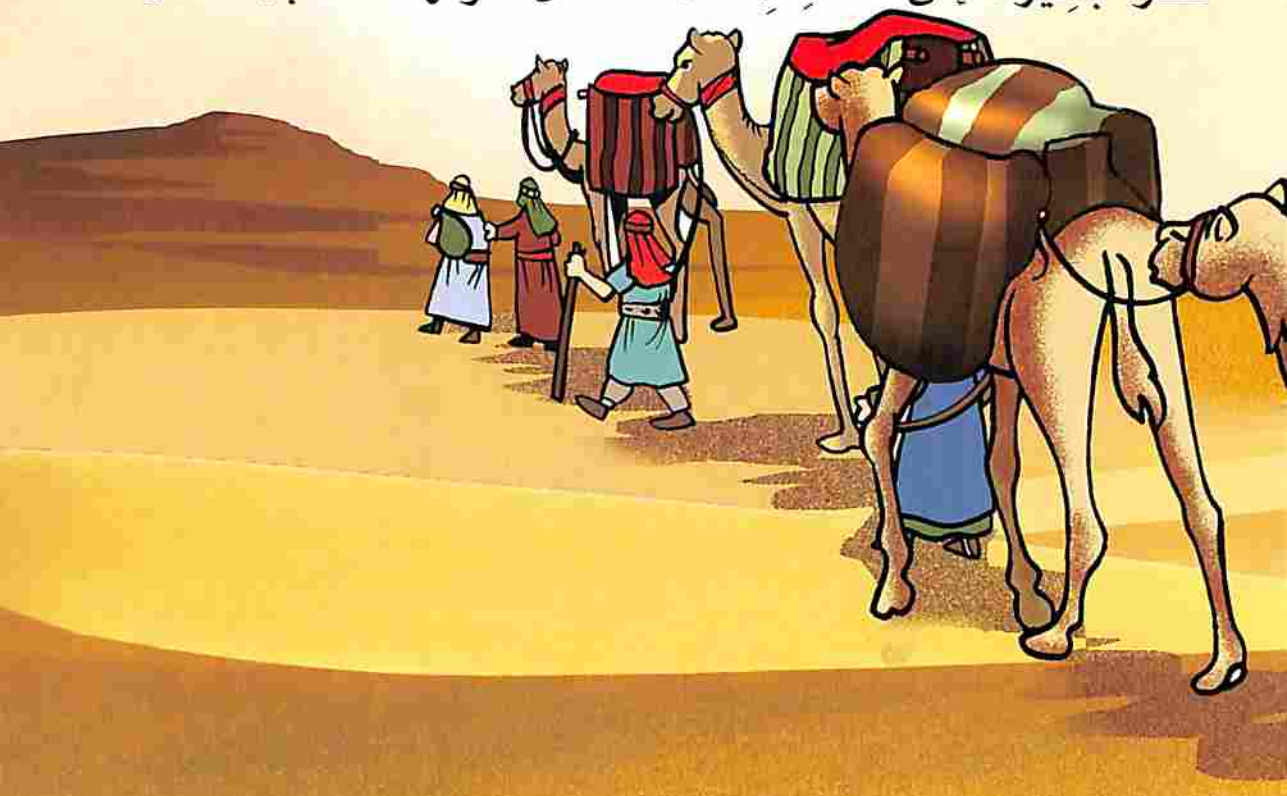

شَخْصًا وَاحِدًا فَقَط، فَعَلِمَ أَنَّ فِي هَذِهِ القَافِلَةِ النَّبِيَّ المُنْتَظَرَ، فَأَمَرَ بِإِعْدَادِ طَعَام، ثُمَّ دَعَا القَافِلَةَ إِلَيْهِ فَحَضَرُوا، نَظَرَ بَحِيرَة إِلَيْهِم ثُمَّ سَأَلَهُم: هَلْ حَضَرَ جَمِيعُ أَفْرَادِ القَافِلَةِ؟ أَجَابُوا: كُلُّنَا حَضَرَ إِلَّا غُلامًا صَغِيرًا. قَالَ بَحِيرَة فَلْيَذْهَبْ أَحَدُكُمْ وَلْيُحْضِرْهُ، فَأَنَا دَعَوْتُكُم جَمِيعًا، وَحَضَرَ مُحَمَّدٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ بَحِيرَة وَحَدَّثَهُ، فَعَلِمَ أَنَّهُ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَنَصَحَ عَمَّهُ أَبَا طَالِب بِالرُّجُوعِ بِهِ سَرِيعًا، وَالحَذَرِ عَلَيْهِ مِنَ اليَهُودِ، لأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ.

لَمْ يَبْقَ أَبُو طَالِبٍ بِالشَّامِ مُدَّةً طَوِيلَةً، بَلْ أَسْرَعَ

بِبَيْعِ وَشِرَاءِ مَا يُرِيدُهُ، وَعَادَ سَرِيعًا إِلَى مَكَّةَ خَوْفًا عَلَى مُحَمَّدٍ ابْنِ أَخِيهِ.

مَرَّتِ السَّنَوَاتُ، حَتَّى وَصَلَ مُحَمَّدٌ أَوَّلَ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ، وَكَانَ مُتَّصِفًا بِالأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بَيْنَ قَوْمِهِ بِالصَّادِقِ الأَمِينِ.

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ اسْمُهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِد، وَكَانَتْ أَرْمَلَةً فِي سِنِّ الأَرْبَعِينَ، وَكَانَتْ سَيِّدَةً

ذَاتَ مَالٍ وَتِجَارَةٍ، وَفِي يَوم أَرَادَتْ أَنْ يَخْرُجَ رَجُلٌ بِتِجَارَتِهَا إِلَى الشَّام، فَلَمْ تَجِدْ أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الأَمِينِ الَّذِي كَانَ عُمْرُهُ وَقْتَهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، خَرَجَ مُحَمَّدٌ بِالتِّجَارَةِ إِلَى الشَّام، وَبَاعَهَا وَرَبِحَ فِيهَا رِبْحًا عَظِيمًا، فَسُرَّتْ مِنْهُ خَدِيجَةُ، وَأُعْجِبَتْ بِهِ لِمَا رَأَتْ مِنْهُ مِنْ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ، فَأَرْسَلَتْ مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الزَّوَاجَ مِنْهَا، فَقَبِلَ مُحَمَّدٌ هَذَا العَرْضَ وَتَزَوَّجَهَا، فَكَانَتْ لَهُ خَيْرَ زَوْجَةٍ، وَكَانَ لَهَا خَيْرَ زَوْجٍ، وَأَنْجَبَ مِنْهَا زَيْنَبَ وَرُقَيَّةَ وَأُمَّ كَلْثُومَ وَفَاطِمَةَ وَالقَاسِمَ وَعَبْدَ اللهِ.

عَاشَ مُحَمَّدٌ وَسْطَ قَوْمِهِ لا يُخَالِطُهُم ، بَلْ كَانَ يُحِبُّ العُزْلَةَ.

وَعِنْدَمَا بَلَغَتْ سِنُّهُ خَمْسًا وَثَلاثِينَ سَنَةً أَصَابَ مَكَّةَ سَيْلٌ شَدِيدٌ، فَتَأَثَّرَتْ بِهِ مَبَانِي الكَعْبَةِ؛ فَاتَّفَقَ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى تَجْدِيدِ بِنَاءِ الكَعْبَةِ.

ارْتَفَعَ البِنَاءُ فِي هُدُوءٍ وَسَلام، ثُمَّ جَاءَ وَضْعُ الحَجَرِ الأَسْوَدِ مَكَانَه، فَاخْتَلَفَ القَوْمُ فِيمَا بَينَهُم، كُلٌّ يُرِيدُ وَضْعَه. وَاسْتَمَرَّ الخِلافُ أَرْبَعَةَ أَيَّام حَتَّى كَادُوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَهُنَا قَالَ أَحَدُهُم: لِيَحْكُمْ بَيْنَنَا أَوَّلُ دَاخِلٍ عَلَيْنَا، فَدَخَلَ الصَّادِقُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَارْتَاحَ الجَمِيعُ لِدُخُولِهِ وَقَالُوا: لَقَدْ ضَمَنَّا الآنَ حَكَمًا عَادِلاً، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ الحَقَّ وَلا يَخْشَى أَحَدًا.

اسْتَمَعَ مُحَمَّدٌ إِلَى القِصَّةِ كَامِلَةً، ثُمَّ خَلَعَ ثَوْبَهُ وَفَرَشَه عَلَى الأَرْضِ، وَأَخَذَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ وَوَضَعَهُ وَسْطَ الثَّوْبِ،

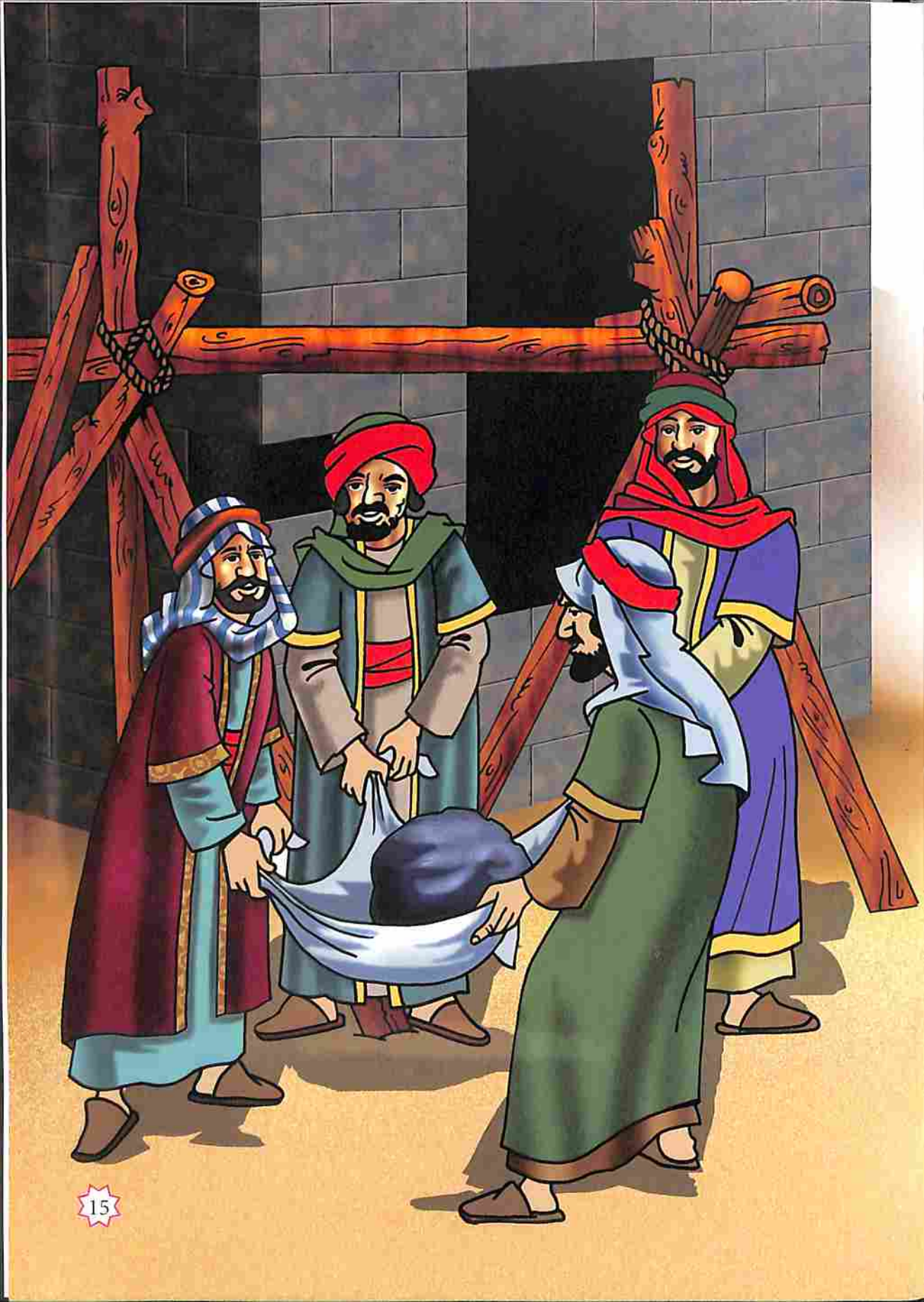

ثُمَّ أَمَرَ زَعِيمَ كُلِّ قَبِيلَةٍ أَنْ يُمْسِكَ طَرَفًا مِنَ الثَّوْبِ، ثُمَّ يَحْمِلُوهُ جَمِيعًا، فَفَعَلُوا، وَبِذَلِكَ اشْتَرَكَتْ كُلُّ القَبَائِلِ فِي حَمْلِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ. وَعَادَ الهُدُوءُ وَالأَمْنُ مَرَّةً ثَانِيَةً.

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾
تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

المركز العربي الحديث
103 شارع الامام علي ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com